

لم نتحرر بعد من أسر تجاربنا الماضية

قسم الاعلام بحزب الشعب الارترري
2009 / 7 / 25 م

حزب الشعب الارترري أحد التنظيمات السياسية والجمعيات المدنية التي تناضل بطريقة سلمية سياسية (لا عنفية) لإزالة النظام الدكتاتوري في ارتريا، إن الاستراتيجية التي تتبعها هذه الطريقة لا تحصر جهودها في إزالة النظام الدكتاتوري القائم فقط، بل تتجاوز ذلك الي ما بعده، أي بناء صرح اجتماعي تسوده قيم وثقافة الديمقراطية والسلم، بذلك يصبح الشعب قادراً علي أن يكون صاحب ومصدر السلطات، الأمر الذي يمكنه فيما بعد من الدفاع عن حريته ضد هجمات الأنظمة الدكتاتورية. ومما يزيد من أهمية هذه الاستراتيجية أنها بخلقها مجتمع السلم الذي لا يؤمن بالعنف، تقضي الي أن يكون المجتمع ميالاً الي حل أي نزاع اجتماعي أو سياسي بالطرق السلمية.

إن النضال السلمي الديمقراطي يهدف الي عدم تكرار تجربة العنف الأهلي الذي ظل يتخلل معظم مراحل الكفاح التحرري المسلح، أي منعاً لأن يندلع النزاع العنيف مجدداً بين تلك التنظيمات التي نشأت وتطورت في خضم بيئة العنف السياسي والعسكري، إن حزب الشعب الارترري يعتقد أن النزاعات التي برزت في عهود الحرب التحريرية لها أثرها المعيق لنشر السلام والديمقراطية والتنمية في ارتريا المستقلة، وفي ظروف كهذه تسودها ثقافة العنف يصعب الزعم أن تكون التنظيمات التي تنتهج خيار العنف طريقاً لتغيير النظام القائم في ارتريا قادرةً علي إرساء دعائم الديمقراطية والسلام.

ولكي نكسّر فهماً أكثر عمقاً حول النهج السلمي الديمقراطي والمناهج النضالية الأخرى، لا بد لنا من إلقاء الضوء علي تجاربنا التاريخية السابقة وانعكاساتها علي الأوضاع الراهنة.

تركة الثلاثين عاماً من الكفاح المسلح:-

إن قتال الثلاثين عاماً الكفاحي علمنا أنه لم يكن فقط من أجل دحر الاحتلال الاثيوبي فقط، فبالإضافة الي ما سجلناه من هذه البطولات التي لا مثيل لها في تاريخنا، رسّخ لدينا ذلك الكفاح أيضاً الإيمان والتمسك بتلك المؤسسات والمجموعات التي تشجع العنف، فالحروب الأهلية التي اندلعت في السبعينيات وما أعقب ذلك من قيام محاولات وحدوية بين جبهة التحرير الارتررية والجبهة الشعبية لتحرير ارتريا وفشل تلك المحاولات، ثم إخراج الجبهة الشعبية لجبهة التحرير من الساحة الارتررية، كلها أمثلة لتجارب ذات آثار سلبية مريرة يصعب محو آثارها أو دماغها من وجداننا وتقاليدنا العملية بالسرعة المطلوبة. في حقبة الكفاح المسلح كانت التنظيمات السياسية الارتررية عموماً والجبهة الشعبية بصفة أخص تمتلك اعتقاداً راسخاً بالعنف وسيلة وحلاً ناجحاً لكل ما يواجهها من مصاعب أو مشكلات، هذه الثقافة أدت شيئاً فشيئاً الي تفشّي روح الأنانية بين تلك التنظيمات، الي أن يدعي كل تنظيم أو يرى ألقائد أو رائد إلا هو، وأن لا ديمقراطية بدونها، وأنه دون غيره من التنظيمات الضامن الوحيد لوحدة الأرض والشعب.

من ثم انبنى علي ذلك النهج ليس عمل كل تنظيم علي تشويه صورة الآخر فحسب، بل اعتقاد الكل نظرياً وعملياً بأن تصفية بقية الفرقاء بالقوة مهمته المقدسة، هذه الروح العسكرية أو العنفية خلقت في ارتريا بالتدرج أرضية سياسية واجتماعية معادية لسيادة السلام والديمقراطية في ارتريا المحررة، والتنظيمات الارتررية الحالية بدورها ما تزال تتميز بهذه الروح، نظام الفرد الدكتاتوري المتربع علي السلطة في ارتريا اليوم هو الآخر خير مثال تطبيقي للمفهوم الذي رسخته تجربة كفاح الثلاثين عاماً، ألا وهو المفهوم الذي يزعم أن السلطة السياسية لا تتنازل إلا من خلال فوهات البنادق أو علي أسنة الرماح.

أضرار تجربة الكفاح المسلح علي التنظيمات الارتررية المعارضة:-

منذ العام 1999م جرت بين تنظيمات المعارضة محاولات جادة تعكس نواياها في التصالح والرغبة في التعاون والعمل المشترك وإصلاح العلاقات بينها، هذه حقيقة لا يمكن إنكارها. علي أن هذا العمل المشترك لم يتأسس علي استراتيجية تنتهج

الأسلوب الديمقراطي السلمي للنضال، لماذا؟ لأن الأسلوب النضالي الذي تربينا عليه وما عهدناه هو أسلوب العنف، مما يعني أننا لم نتحرر بعد من قبضة تجاربنا السالفة.

من جهة أخرى نرى كل القوى السياسية الارترية تكثر من الحديث عن الديمقراطية والسلام، بيد أن أفعالها في هذا الميدان تناقض أقوالها، فهي في حقيقتها تنظيمات تكن لبعضها الحقد والبغض وتتميز بإعطاء الأولوية لمصالحها الضيقة، لا تعيش في داخلها حياة ديمقراطية، لا تشجع توسيع أطر المشاركة السياسية. فكل ما يقال ويكرر من شعارات السلم والمصالحة غير مبني على أرضية صلبة، وبما أن هذه من النتائج البارزة لحقبة كفاحنا التحرري المسلح، تفسر بوضوح لماذا تؤيد التنظيمات السياسية الارترية المعاصرة استخدام العنف، وترفض الأسلوب السلمي الديمقراطي للنضال، الخطورة إذاً تكمن في أن نستمر غرقى في لجة وأحوال عقلية أسلوب النضال المسلح التي هي الطريق الذي يقود الي التباغض وسيادة العنف وعدم الاستقرار.

تبييت النية لتدشين الدورة الثانية من الكفاح المسلح:

الكثير من التنظيمات السياسية الارترية المعارضة لديها قناعة راسخة بإزالة النظام الدكتاتوري في ارتريا عن طريق العنف، وهذه استراتيجية لا محالة مستقاة من تجربة الكفاح المسلح، بيد أن معظمها، أي تلك التنظيمات، لم يتضح لديها بعد الطريق القائد الي الغلبة والانتصار في الأجواء السياسية العالمية الراهنة، علي أن هذا الأسلوب النضالي وإن كان في بعض المصادفات الأقرب للمعجزة طريقاً عملياً للنصر، فإنه قد يكون أيضاً دورة ثانية من دوامة العنف المسلح في التاريخ الارتري والتي لا يمكن أن تؤدي الي سيادة الديمقراطية والسلام في ارتريا.

إن عدم إيراد استراتيجية أسلوب النضال المسلح في برامجهم أو خطابهم السياسي يؤكد أنهم لا يعتمدون تلك الاستراتيجية الاعتماد الجاد، بل إن خطابهم الخاص بهذه الاستراتيجية يفتقر الي الوضوح والشفافية بحيث يصعب استيعابه حتى علي عضويتهم ناهيك عن الآخرين.

إن كانت تلك القوى لا ترى غير العنف وسيلة لإسقاط النظام، وهي بالفعل وكما يبدو عليها تؤمن في أغلبها بهذا المبدأ، عليها إذا أردت أن تقنع الشعب أيضاً بجدوى مبدئها هذا، فلتخاطب الجمهور في وثائقها، سياساتها، بياناتها، اجتماعاتها بلغة واضحة يستطيع الشعب استيعابها والافتناع بها. عليهم أيضاً وبذات الشفافية والوضوح أن يتحدثوا عن الوجه الآخر لاستعمال العنف، ما يترتب بالضرورة علي الحرب من نتائج وخيمة أبرزها، الدمار الاقتصادي، الهلاك البشري، نمو الأحقاد بين مكونات المجتمع، ما يعقب الحرب من أثار نفسية سيئة والتكلفة المادية والمعنوية الباهظة لمعالجة تلك الآثار، وفوق هذا وذاك عليهم أن يحدثونا بصراحة أيضاً عما إذا كان من الممكن أن نحقق عن طريق الحرب التنمية، أو أن نرسي دعائم العدالة، الديمقراطية، والاستقرار، حيث لا يمكن أن نقنع الشعب بترك الطريق السلمي للنضال ودعم وتأييد الكفاح المسلح هكذا جزافاً، دون أن نشرح له سياساتنا وبرامجنا الخاصة باستراتيجيتنا النضالية.

إننا نعتقد أن ما يعقب أسلوب النضال العنفي من تبعات ومصاعب كثيرٌ ومثير، إن هذا الطريق لا يقود الي درب الديمقراطية والسلام. خلال الثلاثين عاماً التي استغرقتها الكفاح المسلح، بذل الارتريون تضحياتٍ جسيمة أجرت تغييراً شاملاً حتى علي عاداتهم وتقاليدهم، موروثاتهم ومعتقداتهم، كما تعرضوا لصور كثيرة من القهر والدمار.

حزب الشعب الارتري علي اعتقادٍ راسخ بإمكانية تغيير ثقافة العنف هذه ليس عن طريق العنف، بل عن طريق الأسلوب السلمي الديمقراطي فقط، فالعنف ليس استراتيجية موضوعية لإحداث التغيير، إنه، أي العنف، استراتيجية اليأس والمصالح السياسية الضيقة التي من شأنها أن تساعد علي استمرار الأوضاع الحالية علي ما هي عليه من بلبله وارتباك، واستمرار هذه الأوضاع كما هي ليس من رغبات ولا آماني الشعب الارتري.

لا جدال في أن المفهوم القائل بأن مفتاح الحل لمشكلاتنا السياسية والاجتماعية هو العنف، مفهوم متجذر وقديم في الساحة السياسية الارترية، إلا أننا لم نمتلك بعد القدرة علي تغيير هذه الثقافة العسكرية المحض.

إننا علي قناعة بأننا ما لم نتمكن من تغيير عقلية وأسلوب النضال السدّين ورثناهما من حقبة كفاحنا المسلح، فإن نضالنا ضد النظام الدكتاتوري لن يكون قادراً علي التقدم الي الأمام، إننا في ذات الوقت علي يقين من أن الأخذ بالخيار السلمي الديمقراطي سوف يمكننا من التصدي الفعال لما يعاناه شعبنا من مصاعب وتحديات من جهة، وبناء مجتمع يسوده السلم والديمقراطية من

جهةٍ أخرى، حيث إن الهدف الأقصى لشعبنا لا يقتصر فقط علي إزالة نظام الههدف، بل يتجاوز ذلك الي إقامة نظام بديل يحقق السلم، العدالة، الديمقراطية والازدهار في بلادنا.